(بين النحو والصرف)

الحمد الله الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى الذي علّم الإنسان ما لم يعلم اللهم انفعنا بما علمتنا وصلى الله على نبيه الكريم الذي أرسله الله إلينا ليخرجنا من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى العلم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فلما كان مما لم تتفق عليه أقول الطلبة ولم تتحد عليه آراؤهم الطيبة فيما أصعب بين النحو والصرف لذا رأيت أن أجمع كلمات على ما تصادف رأيي في القول وتوافق مذهبي ووجهة نظري أسأل الله التوفيق والمدد على ما رمت ونويت آمين.

(أسميتها بحثا دقيقا ورسالة يسيرة فيما أصعب بين النحو والصرف)

ملاحظة الأصل ألا أكتب شيئاً في هذا الموضوع وذلك لما يأتي

- لست أهلا لما فعلت وذلك لضعف علمي وقلة معرفتي ودرايتي.
- لم أر واحدا من المتقدمين ولا من المتأخرين من كتب أو تكلم في هذا الموضوع لعل ما قد تكون العلة في ذلك قلة فائدته وتضاؤل ثمرته لكن سأفصّل القول في هذا تحت ثمرة هذا البحث وفائدته لكي لا يكون عبثا ولا تضييعا للوقت.

***غرض وسبب هذا العمل**

يُفهم فيما غبر أن الغرض الأساسي الذي وراء هذا البحث هو تقريب الأقصى في الأصعب بين النحو والصرف إلى طلبة العلم مما لم تسبق له قراءته في مثل هذا الموضوع فيكون هذا أول ما ينظر فيه وما يستأنس به في شرخ شبابه هذا هو الأصل.

لكن ثمة أيام طويلة ناقشت فيها هذه المسألة مع أخي الحبيب أبي محمد الأستاذ رضوان ولم تثمر أو تولد هذه المناقشة والمجادلة ثمرة ينيعة وقطافا ناضجا لذا رأيت أن أكتب في الموضوع لعل الله يُرينيَ الحق فأتبعه أو يُري أخي الحق فيتبعه أما أنا حتى الآن لم أزل على موقفي والله أعلم.

الغرض الأخير لما انتهيت من هذه المناقشة مع الأخ عزمت أن أنشر عنوان المناقشة على شاشة واتسابي كما يقال ورأيت جل الطلبة مالوا إلى صعوبة الصرف وناقشتهم فيها ومن هنا اشتدّ عزمي على هذه المقالة فأوجبت كتابتها على نفسي وآلان الحمد لله.

فها أنا أشرع في المقصود # بعون رب الملك المعبود

(بين النحو والصرف)

أما في الأصل عند القدماء رحمهم الله كانوا لا يفرقون بين النحو والصرف فضلا وتصنيفا وذلك لما يأتي من هذه الأمور.

١ قديما يطلقون عليهما اسما واحدا (القواعد) وبعضهم قالوا كانوا يسمون كليهما نحوا فيكون النحو أشمل والصرف قسم منه.

٢ وفي التصنيف يُجمع كلاهما في كتاب واحد كما فعل ابن مالك في الألفية وسيبويه في الكتاب والخليل والكسائي رحم الله الجميع وما جرى مجرى كتب هؤلاء من كتب هذا الفن.

قويت همتهم في تعلّم العلوم وتلقّيه ولم يفرقوا بين العلوم اللغوية والشرعية إذ لا داعي إلى التفرقة بينهما حينئذ لكن اليوم لما ضعفت الهمة وكلّ العزم –حفظ الله علماءنا– المعاصرين ما أرادوا ضياع العلم وفرّقوا بينهما كالفرق بين السماء والأرض وجعلوا بعض الطلبة يتخصّصون في العلوم اللغوية والآخرين في الشرعية وبعد ذلك فرّقوا شمل اللغة وجزّؤوا القواعد إلى فنون من نحو وصرف ولغة وأدب وبلاغة..........

مفاد كل هذه الكلمات أنه لا فرق عند المتقدمين بين النحو والصرف

أما اليوم عند التفرقة بينهما فلا بد أن يبرز فضل زيد على عمر من حيث الصعوبة ولذلك نقول إن النحو جبله شامخ وطوده باذخ صعب المرتقى ووعر المنحدر وذلك لما يأتي من هذه الأمور.

*** لنبدأ بموضوع علم الصرف يقال إن موضوع علم الصرف هو البحث عن الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة ألا ترى –يا صاح– أن الكلمة ثلاثة أقسام اسم وفعل ثم حرف كما لا يخفى على ذي فطنة ويتناول علم الصرف قسمين من هذه الأقسام وهما الاسم والفعل هذا يعني أنه لا حظ للصرف ولا بحث له في الحرف.

كما قال ابن مالك في الألفية : حرف وشبهه من الصرف بري # وما سواهما من الصرف حري

نقول هنا أن الصرف ترك الحرف للدقة بحثه وهل نستطيع أن نتخلى عن دراسة علم الحروف وتسلم لغتنا ؟

نقول كلا لأن العلماء صنفو في معاني الحروف مما لا يتبحر واحد فيه لأن علم معاني الحروف علم صعب جدا كما لا يخفى عليكم.

ثم نرشد إلى سهولة علم الصرف عن شيخه (النحو) حيث إنه يبحث عن دراسة الأسماء والأفعال بل ليس كل أنحائهما لأن ما يدرسه الصرف في الأسماء

محدد وهو الأسماء المتمكنة وكذا المتصرفة من الأفعال هذا يعني أنه لا دراسة له في الأسماء المبنية والأفعال الجامدة أما علم النحو هذا فهو متبحر في جميع هذه الأقسام حفظ الله الشيخ النحو.

٢ ولأن علم الصرف فرع عن علم النحو فكيف يكون الفضل للفرع على الأصل الذي هو النحو أو نقول فكيف يكون أصعب منه فإذا كان الصرف صعبا فيكون النحو أصعب وأصعب وأصعب.

٣ ثم أغلب موضوعات النحو يتناول بين العامل والمعمول ولا يوجد حظ للصرف في هذا الباب.

وهذا مما عسّر النحو لأن باب العامل والمعمول واسع جدا في النحو حتى قلّ أن يوجد موضوع العامل والمعمول في بعض كتب النحو بل يفرد له كتاب واحد خاص ومن ذلك كتاب العوامل المائة للجرجاني رحمه الله تعالى

وإن قيل ألا ترى أن النحو يقبل التقديرات وهذا مما ساق وأدّى إلى سهولته فأقول: ويلكم لم تقولوا هذا القول لماذا لأن التقديرات مما صعبت علم النحو لولا هذه التقديرات لكان علم النحو سهلا أما قولك بأن التقديرات مما يفضي إلى سهولته هذا قول باطل لم يقل به أحد من السلف ولا من الخلف لأن

المشهور قولهم كقاعدة نحوية عندهم (لولا التقديرات لفهم النحو الحمير) وفي وجه لولا التقديرات لعلم النحو الحمير.

يعني لولا باب التقديرات في النحو ليفهم الحمير -مع غباوته- النحو لذلك لولا التقديرات لفهم النحو الحمير.

لأن التقديرات والتأويلات والإضمار والاتساع والاستغناء كلها أبوابها واسعة وصنف فيها كتب مستقلة وهل سبق أن قرأت في هذه الموضوعات قبل هذه المقالة ؟

٥ ولأن علل الصرف غالبها مسموعة (السماعية) لو سألتهم كيف صار هذا هذا لقالوا هكذا سمعناه كبعض علل صرفية في باب التصغير وباب النسب وباب الجمع وما إلى ذلك ولا مجال لضرب الأمثلة لكن إذا طلبها رادٌّ سأجيبه بأكثر مما طلب.

أما علل نحوية علل تعليلية تدرس وتفهم بعون الله لا يقول لك النحوي شيئاً إلا مع مجلبته جرب تجد

٥ وبالتالي أن الطلاب أكثر ما يسرعون إليه ويتجرؤون عليه هو علم الصرف بخلاف علم النحو

أقصد بهذا القول أن طالبا لو طلب منه دراسة موضوع بين علم النحو أو علم الصرف ما سيطمئن إليه قلبه -إن شاء الله- هو علم الصرف ولا يكون هذا إلا في صعب من أصعب مع أن الأمر في هذا نسبي لكن نتكلم عن الأغلبي وبالمثال يتضح المقال أنت أيضا يا قارئ الكريم افتح سورة من القرآن الكريم أو آية طويلة واستخرج ما فيها من أحكام صريفية ثم أعد النظر فيها أيضا واستخرج أحكام نحوية وانظر فيما تعجز بينهما لا شك عندي أن النحو هو الصائف القائظ والله أعلم.

**هذا غيض من فيض ما عندي من الحجج على مذهبي لولا تطويل الوقت لأكثرت من هذا والله ثم والله بقي كثير مما لم أودعه في هذه المقالة.

تنبيه

هذا البحث يقبل الرد من أي طالب العلم مبتدءا كان أم منتهيا إذ الغاية الزيادة في العلم فجزاكم الله خيرا.

إعداد: الطالب ابن صالح السعيداني

12/5/2023